رسالة 2012
عدد خاص رقم 274

مقدمة:

للمرة الأولى عقد أحدى لقاءاتنا الأوروبية في برلين.

تتميز مدينة برلين بتنوّعها الشديد؛ هي تخطو نحو المستقبل محاولة دمج ذكرى ماضٍ مؤلم؛ إنها مدينة أظهر سكانها أن الصعوبات لا تحدّ من عزيمتهم أبداً.

وعلى الرغم من أنهم أقلية، يسعى المسيحيون إلى عيش الإنجيل بجذرية. وهم من مختلف الانتماءات الطائفية، بينما لم تعد شهادتهم المشتركة وتفاعلهم والتزامهم المسكوني خياراً، بل ضرورة حيويّة. لقد أضحت عدة أبرشيّات ورعايا مراكز تضامن إنساني حيث يتمّ استقبال الفقراء.

جرت الزيارة الأولى لأحد إخوة جماعة Taize إلى برلين في العام ١٩٥٥. عندما بني الجدار عام ١٩٦١ وقسِمت المدينة إلى اثنين، زادت زيارة الإخوة إلى برلين الشرقية، وتشكّلت عدّة جماعات صلاة في الثمانينات. لقد زار الأخ روجيه برلين الشرقية في العام ١٩٨٦ نحو خطوة على مسار "رحلة الحج المبنية على الثقة". وكان من الضرورة طلب إذن السلطات الشيوعيّة للاحتفال بالصلاة الّتي ضمّت ٦٠٠٠ شاباً وفتاة من ألمانيا الشرقية، في وقتٍ واحدٍ، في اثنتين من الكنائس الكبيرة: الكاثوليكية والبروتستانتية. لقد أعطيت الموافقة بشرط عدم مشاركة الشباب من ألمانيا الغربية. وانتهت هذه الفترة الآن، فأضحت برلين رمزاً لكلّ من يحاول عبور جدار التفرقة من مختلف دول العالم من أجل بناء ونشر الثقة.

نحو شراكة جديدة

إن اتخاذ قرارات شجاعة لهو أمرٌ ضروريّ لنضوج شراكة جديدة على جميع المستويات[1]، في الأسر والمجتمعات المحلية، والبلدات والقرى، وبين البلدان والقارات.

نحن لا نريد أن نخضع ونستسلم للخوف والاستقالة، واعين للمخاطر والمعاناة التي تثقل كاهل البشرية وكوكب الأرض[2].

إلى ذلك، فإن الأمل الإنساني مهدّد في كل وقت بالخيبة، بفعل الصعوبات الاقتصادية التي تشكل عبئاً متزايداً. وتعقيد المجتمعات يسحق كاهل الإنسان، كذلك العجز في مواجهة الكوارث الطبيعية يؤدي إلى خنق كل براعم الأمل[3].

ألم يحن الوقت لتسليط الضوء، وتحرير المزيد من مصادر الثقة، نحو بناء أشكال جديدة من التضامن الإنساني ؟

لا يمكن لأي إنسان وأي مجتمع أن يعيش دون ثقة.

إن الجروحات التي تخلّفها خيانة الثقة تترك ندوباً وآثاراً عميقة.

والثقة ليست سذاجة عمياء، ولا كلمة سهلة، بل تأتي من خيار. إنها ثمار صراع داخليّ؛ ونحن مدعوون كل يوم الى السير على طريق القلق نحو الثقة.

الثقة بين البشر

إن تشريع باب الثقة بين البشر يستجيب إلى حالة ملحّة: مجتمعاتنا البشرية لا تزال مجزّأة ومبعثرة على الرغم من تزايد سهولة التواصل والاتصالات.

الحواجز ليست موجودة فقط بين الشعوب والقارات، بل هي قريبة جدّاً منّا، حتّى قلب الإنسان. لنفكّر بالأحكام المسبقة بين مختلف الشعوب والجنسيّات؛ لنفكّر بالمهاجرين القريبين منّا وهم غالباً بعيدون جدّاً؛ الجهل المتبادل يعمّ بين الأديان، وحتى بين المسيحيّين أنفسهم فهم منقسمون إلى طوائف متعدّدة.

السلام العالمي يبدأ من القلب.

للشروع في الشراكة، إننا بحاجة الى لقاء الآخرين، أحياناً بيدين فارغتين، لكن لنصغي الى من لا يفكّر مثلنا، ونحاول أن نفهمه... حينها قد تتغيّر حالة الانغلاق على الذات.

لِنسعَ كي نكون حاضرين، وساهرين على الأكثر ضعفاً.. أولئك الذين لا يجدون عملاً. إن سهرنا على الضعفاء يمكن أن نجسّده بتضامن

---

[1] إذا كانت الشراكة الإنسانيّة ضروريّة على الدوام، فإنّها بحاجة لأن تتجدّد بشكل منتظم عبر أشكال جديدة. وربّما اليوم كما لم يحدث فيما مضى في التاريخ، من الأهميّة بمكان أن تستعدّ الأجيال الشابّة لتقاسم عادل أكثر لموارد الأرض، ولتوزيع متكافئ للثروات بين القارات وداخل كل دولة.

[2] إنّ الزخم باتّجاه شراكة جديدة أمر ممكن، إنّما يتغذّى من الاعتقاد الراسخ أنّ تاريخ العالم غير محدّد سلفاً. دعونا نتذكّر هذه الأمثلة: بعد الحرب العالميّة الثانية، حفنة من المسؤولين السياسيّين آمنوا بالمصالحة خلافاً لأيّ أمل، وبدأوا بشجاعة بناء أوروبا متضامنة؛ الثورة السلميّة التي استطاعت أن تغيّر بعمق واقع الفلبين عام ١٩٨٦؛ الحركة الشعبيّة البولونيّة الكبيرة (Solidarność) التي أعدّت دون عنف لموجة الحريّة لدول أوروبيّة عديدة؛ سقوط جدار برلين في العام ١٩٨٩ إذ كان غير متوقع حدوثه قبل سنوات قليلة؛ وفي العصر نفسه سلكت دول من أميركا اللاتينيّة طريق الديمقراطيّة وشرعت نحو نموّ إقتصاديّ غير مسبوق، بحيث نأمل أن يستفيد الأقلّ فقراً دون أيّ تأخير؛ نهاية الفصل العنصريّ في جنوب أفريقيا وسياسة الانفتاح التي انتهجها نلسون منديلا أوصلتا إلى مصالحة غير متوقعة؛ وفي الآونة الأخيرة شهدنا نهاية العنف السياسيّ في إيرلندا الشماليّة وبلاد الباسك.

[3] أزمات الإقتصاد العالميّ تطرح علينا علامات استفهام، التوازنات الجيوسياسيّة تتغيّر، اللامساواة تزيد، أمن الأمس يبدو اليوم غير قادر على الصمود. أتلك أسباب لنتساءل عن الخيارات المتاحة لنا في حياتنا؟

اجتماعي. وبالعمق، إنه موقف منفتح ومتضامن مع الجميع، حتى القريبين منّا هم ضعفاء وبحاجة إلينا، بطريقةٍ ما[٤].

بعضهم انتصر على الفقر والظلم بالثورة والتمرّد، أو الانجرار نحو العنف العشوائيّ؛ إلا أن العنف ليس هو الوسيلة لتغيير المجتمعات[٥]، بل دعونا نصغي إلى الشباب الّذين يعبّرون عن سخطهم، لكي نفهم أسبابهم الأساسيّة[٦].

إن الزخم باتّجاه الشراكة الجديدة يتغذّى من قناعات راسخة، منها الحاجة إلى المشاركة[٧]؛ إنها حتميّة يمكن أن تجمع بين المؤمنين من الديانات المختلفة، فضلاً عن المؤمنين وغير المؤمنين.

الثقة بالله

إن تضامن البشر بإمكانه أن يجد في الله مرجعا لبناء أساس متين؛ لكن يبقى أن الثقة بالله والاتّكال عليه هما غالباً موضع تساؤل. كثيرون من المؤمنين اختبروا هذه التجربة الصعبة في أماكن العمل أو في الدراسة، وأحياناً في عائلاتهم.

هناك العديد من الأشخاص ليس باستطاعتهم أن يؤمنوا بمحبة الله لهم. وآخرين أيضاً يسألون بصراحة هذا السؤال: كيف لي أن أدرك إذا كنت مؤمناً ؟

يبدو الإيمان اليوم وكأنه مجازفة، أوكأنهُ اختبار صعب للثقة.

ليس الإيمان بالدرجة الأولى وقبل كلّ شيء قبولاً للحقائق، إنّما علاقة مع الله[٨]. إنّها دعوة، لكي نحوّل نظرنا نحو نور الله.

بعيداً عن الإذلال وخنق تطورنا الشخصيّ[٩]، نرى أن الإيمان بالله يحرّرنا؛ يحرّرنا من الخوف، ويحرّرنا نحو خدمة حياة الأشخاص الّذين أوكلهم الله إلينا[١٠].

وكلّما نمت وزادت ثقتنا بالله، يتّسع قلبنا ليشمل كل إنسان (كل ما هو إنسانيّ) في جميع أنحاء

---

[٤] لا يقتصر الفقر على الموجودات الماديّة، ربّما يطال الحرمان من الصداقة، وعدم وجود معنى للحياة، وغياب القدرة على الوصول إلى ثروات كالشعر والموسيقى والفنّ، كلّ ما يفتح نافذة على جمال الخلق والإبداع.

[٥] عشيّة سقوط جدار برلين في إلمانيا الشرقيّة عام ١٩٨٩، سهر منظّمي الاحتجاجات في الطرقات على أن يحمل كلّ شخص شمعة مضاءة: بيد يحمل الشمعة وبالأخرى يحميها من الرّياح، ولم يتبقّى لهم يد متحرّرة لأيّ حركة عنفيّة.

[٦] كتب لي شباب من إسبانيا ملتزمين في حركة "indignados" بمدريد: "لا ندري ما يمكن أن يحدث إن لم يتحسّن الوضع، العديد من الأشخاص عاطلين عن العمل، فقدوا مسكنهم وحقوقهم الأساسيّة البديهيّة. هناك ضياع كبير وغضب من النظام القانونيّ والإقتصادي والإجتماعي غير العادل. ديمقراطيّة ناقصة لا تكفل الحقوق المنصوص عنها في دستورنا: المسكن اللائق والسلامة البدنيّة والعقليّة... لقد سألتنا ماذا يمكن لجماعة Taize أن تفعل لأجلنا، وها هو جوابنا: أن تقوموا بما تفعلون أصلاً، تعليمنا للمحافظة على السلام الداخليّ. نحن نأمل منكم صلاتكم لأجلنا وكلّ العاطفة التي قد أظهرتموها لنا. بإمكانكم أيضاً تسهيل إعلام الشباب الّذين يتشاركون الانشغالات ذاتها مثلنا".

[٧] على سبيل المثال، أن نفهم أنّ الدول الغربيّة ليست مدعوّة بإلحاح إلى نداء الكرم الإنساني اتّجاه أفريقيا، إنّما مطالبة بالالتزام في إحقاق العدالة لهذه القارّة. والأمر سيّان مع دول أخرى كهايتي، حيث يُعتبر شعبها الكريم والمؤمن من إحدى الشعوب الأكثر مذلّة وتعرّضاً للإساءة في التاريخ.

[٨] في مرّات عديدة، أكّد البابا بنديكتوس السادس عشر أنّ أساس الإيمان هو العلاقة الشخصيّة مع الله، ومثالاً على ذلك عندما كتب: "بمنطلق كوني إنساناً مسيحيّاً ليس هناك من قرار أخلاقيّ أو فكرة نبيلة، إنّما اللقاء بحدث، بشخص يعطي للحياة أفقاً جديداً، ومن هنا يعطي الاتّجاه الحاسم". (البابا بنيدكتس السادس عشر، رسالة الله محبة، المقدمة، الرقم ١)

[٩] يحتاج إيماننا إلى تنقيته بشكل منتظم من التوقعات والمخاوف، وأحياناً عبر صراع داخليّ بين الشكّ والثقة. وحكمتنا تشارك في هذا الصّراع ولن تكتفي بمجرد التكرار للإمور. وعليه، كثر اليوم هم شبّان الذين لا يفضّلون العودة إلى تقاليد الكنيسة لتنشيط وتفعيل ثقة الإيمان؛ قناعتهم ومشاركتهم الشخصيّة أساسيّة بالنسبة لهم.

[١٠] كتب مارتن لوثر تعليقاً على كلام بولس الرسول "ومع أنّي حرّ من جهة جميع النّاس، فقد جعلت من نفسي عبداً لجميع النّاس" (١ قورنتس ٩:١٩): "إنّ المسيحيّ هو رجل حرّ، سيّد على كلّ شيء، ولا يخضع لأيّ إنسان. إنّ المسيحيّ هو خادم مطيع إلى الأخير، ويخضع لكلّ النّاس". (مارتن لوثر، من حريّة المسيحيّ).

العالم وجميع الثقافات، ويغدو قابلاً لاستقبال العلوم والتقنيّات والتكنولوجيا التي تسمح بتخفيف المعاناة وتطوير المجتمعات.

إن الله كالشمس، مبهر للغاية.. لنتمكّن من النظر إليه. لكنّ يسوع يعكس لنا، من خلاله، نور الله. الكتاب المقدس يقودنا نحو هذه الثقة: إن الله تعالى دخل واقعنا الإنساني وخاطبنا بلغة مفهومة.

لكن ماذا يميّز الإيمان المسيحيّ؟ إنّه شخص يسوع، والعلاقة الحيّة معه. ومهما تعمّقنا في هذا الاختبار الإيماني لن نفهمه وندركه بالكامل.

الشركة مع المسيح

نحن كلّنا حجّاج، باحثون عن الحقيقة. والإيمان بالمسيح لا يعني امتلاك الحقيقة، إنّما تسليم الذات له.. إنهُ ملء الحقيقة، وعلينا أن نسير نحو ملء وحيه .

العظمة الجديدة المدهشة التي كانت ولا تزال، هي أن يسوع المسيح قد أوصل لنا نور الله عبر حياة بسيطة. لقد جعلته حياته الإلهيّة أكثر إنسانيّة[١١]. ومن خلال التعبير بالامتلاء في بساطة حياته الإنسانيّة، جدّد الله ثقته بالبشريّة. أعطانا أن نؤمن بالإنسان. منذئذٍ، لا يمكننا بعدُ أن نيأس من العالم أو من ذاتنا.

بفعل قبوله هذه الميتة العنيفة وعدم الردّ بالعنف، حمل يسوع محبّة الله إلى حيث ما يتواجد الكره[١٢]. رفض الإيمان بالقضاء والقدر والهموم على الصليب. لقد أحبّ إلى القمّة، ورغم طبيعة المعاناة غير المحتملة والمعقولة بقي واثقاً بأن الله أكبر من الشرّ، وبأن الموت لن يكون له الكلمة الأخيرة. وبشكل متناقض أضحى ألمهُ على الصليب رمزاً لمحبّته اللامتناهية[١٣].

وقد أقامه الله من بين الأموات. فالمسيح ليس من الماضي، بل هو حاضر لأجلنا في كل يوم، يرسل إلينا روحه القدوس لنحيا في الله.

إنّ ركيزة إيماننا هي بالمسيح القائم الحاضر في وسطنا، والذي لديه رباط حبّ شخصيّ مع كلّ منّا. إنّ الالتفات والنظر إليه يجعلنا نعي ونفهم بالعمق سرّ وجودنا.

في الصلاة، عندما ننظر إلى نوره سيستنير داخلنا شيئاً فشيئاً، ويضحى سرّ المسيح هو سرّ حياتنا. ربّما لن تزول تناقضاتنا الداخليّة وخوفنا، ولكن، بفضل قوّة الروح القدس يخترق المسيح قلقنا حتّى ينير كل عتمة وظلمة[١٤].

تقودنا الصلاة الى الربّ والى العالم في آن معاً.

على مثال مريم المجدليّة التّي شاهدت المسيح حيّاً في صباح الفصح، نحن مدعوّون لنتشارك مع الآخرين هذا الخبر السّار[١٥].

إن دعوة الكنيسة هي أن تجمع في سلام المسيح كلّ النساء والرجال والأطفال، من مختلف اللّغات والشعوب، في كلّ العالم. إنّها العلامة بأن الإنجيل يعلن الحقّ، إنّها جسد المسيح الذي

---

[١١] لم يكن يسوع زاهداً عظيماً، كان يقوم بالمعجزات، بخاصّة الشفاءات. ولكن في الوقت الحاسم الذي كان بإمكانه أن يثبت أنّه رسول الله على الصليب، حينها كان صمت الله، صمت قبل أن يشاركه مع كلّ الذين يعانون. وصَعُبَ على التلاميذ أن يفهموا أن يسوع هو المسيح الفقير، فكانوا يأملون أن يغيّر الظروف الإجتماعيّة أو السياسيّة الراهنة؛ لم يفهموا أنّه تجسّد لنزع الشرّ من جذوره أوّلاً.

[١٢] "شُتم ولم يردّ على الشتيمة بمثلها. تألّم ولم يُهدّد أحداً، بل أسلم أمره إلى من يحكم بالعدل" (١ بطرس ٢:٢٣)

[١٣] أمام معاناة الأبرياء التي لا نفهمها، نقف أحياناً في حيرة. ويلمس قلبنا السؤال والصراخ الذي انتقل عبر كلّ تاريخ البشريّة: أين هو الله؟ ليس عندنا إجابة سهلة معلّبة، ولكن يمكننا أن نستسلم للمسيح الذي انتصر على الموت، ويرافقنا في معاناتنا.

[١٤] الصلاة هي فعل إصغاء وتطلّع نحو نور الله. من خلال كتابات الكتاب المقدّس نفهم أنّ الله هو من يتكلّم ويطرح علينا أسئلة أحياناً. وفي الوقت عينه، يبدو المسيح لنا الرجل الفقير الذي يبحث عمّن يحبّه ويخاطبنا قائلاً: "هاءنذا واقف على الباب أقرع" (رؤيا ٣:٢٠)

[١٥] راجع يوحنّا ٢٠: ١١ – ١٨.

يقوده الروح القدس. وهي تؤمّن حضور "المسيح في الشركة"[١٦].

"عندما تصغي الكنيسة بصبرٍ[١٧] وتشفي وتصالح، تغدو فيما هي عليه أكثر إشعاعاً: شركةً ومحبّة ورحمة وتعزية؛ وتصبح انعكاساً شفّافاً للمسيح القائم. ويمكنها أن تشعّ من تواضع ثقتها الإيمانيّة في قلوب الناس دون أيّة مسافة أو موقف دفاعيّ، ومتحرّرة من كلّ أشكال القسوة"[١٨].

لنبحث أن نكون "ملح الأرض"

لم يأتِ مسيح الشركة ليؤسّس مجتمعاً منعزلاً للمسيحيّين وحدهم، إنّما أرسلهم لخدمة الإنسانيّة كخميرة ثقة وسلام[١٩]. والشراكة الملموسة بين المسيحيّين ليست هدفاً بحدّ ذاتها إنّما علامة تطبع الإنسانيّة: "أنتم ملح الأرض"[٢٠].

بصليبه وقيامته، أسّس المسيح لشركة جديدة بين كل الناس. به تخطّينا كلّ تقسيم للإنسانيّة إلى مجموعات متخاصمة... به أصبحنا كلّنا عائلة واحدة[٢١]. فالمصالحة مع الله تشترط المصالحة بين النّاس[٢٢].

لكن إذا فقد الملح نكهته، فعلينا أن نعترف كمسيحيّين أنّنا غالباً ما نحجب هذه الرسالة للمسيح. وعلى وجه الخصوص، كيف يمكننا أن ننشر السلام ونحن لا نزال منقسمين بيننا ؟

نحن اليوم في مرحلة من التاريخ مدعوّون لنحيي هذه الرسالة، رسالة المحبّة والسلام. فهل سنقوم بكلّ ما يلزم لنحرّر هذه الرسالة من كلّ سوء فهم، فتتألّق في بساطتها الأصليّة ؟

هل يمكننا أن نسير مع من لا يشاطروننا إيماننا، إنّما يبحثون عن الحقيقة في أعماق قلوبهم، دون إلزامهم بأيّ شيء؟[٢٣]

في سعينا لخلق أشكال جديدة من التضامن وفتح مسارات الثقة، هناك، دوماً، اختبارات. في بعض الأحيان، ربّما يتراءى لنا أنّها تسحقنا. فما العمل إذاً؟ أليست إجابتنا على هذه الاختبارات الشخصيّة وتلك الّتي يعاني منها الآخرون، بأن نحبّ دائماً باستمرار؟

إن لقاء الشبيبة الخامس والثلاثين سوف يكون من ٢٨ كانون الأول ٢٠١٢ الى ٢ كانون الثاني ٢٠١٣ في مدينة روما الإيطالية.

---

[١٦] "المسيح في الشركة" هو تعبير أطلقه الأخ روجيه. ومن جهته، وحين كان شابّاً صغيراً في الحادية عشرة من عمره، صاغ اللاهوتيّ ديتريش بونهوفر عبارة "المسيح حاضر في الجماعة". لقد كتب أيضاً "من خلال المسيح، الإنسانيّة تتّحد فعلاً من جديد في الشركة مع الله" (بونهوفر، Sanctorum communio)

[١٧] أينما كان في الكنيسة، يمكننا أن نعيش حالة إصغاء عبر رجال ونساء قد تكرّسوا لذلك. وهناك علمانيّين قادرين على ممارسة الإصغاء، بشكل مكمّل للكهنة.

[١٨] الأخ روجيه، (*En tout la paix du coeur*)

[١٩] إذا كانت هذه الخدمة تحتّم علينا الذهاب في مسار معاكس لكلّ ما يفقد المجتمع من إنسانيّته، ستنجح بخاصّة ودائماً عبر حوار محترم وبنّاء مع مختلف ثقافات العالم وفق كلّ فترة تاريخيّة. "إنّ الخميرة لا تُظهر قوّتها إلّا عندما تدخل في العجين، بل وأكثر عندما نمزجها بالعجين حتّى لا نتمكّن من تمييزها" (القديس يوحنّا فم الذهب، العظة حول متّى)

[٢٠] متّى ٥:١٣

[٢١] يقول المسيح: "وأنا إذا رفعت من الأرض، جذبت إليّ النّاس أجمعين" (يوحنّا ١٢: ٣٢) ويقول بولس الرسول: "فليس هناك يهوديّ ولا يونانيّ، وليس هناك عبد أو حرّ، وليس هناك ذكر وأنثى" (غلاطية ٣:٢٨)

[٢٢] راجع أفسس ٢:١٤-١٨. دمّر المسيح جدار الفصل بين شعب الله والآخرين، كلّهم بإمكانهم الوصول إلى الله. لا يمكن للتضامن أن يقتصر على عائلة أو شعب واحد، إنّما هو يتجاوز كلّ الخصوصيّات.

[٢٣] على سبيل المثال، عبر المشاركة حول أسئلة مثل: ما هو معنى وجودي؟ ما الّذي يعطي الاتّجاه لحياتي؟ ما الهدف الّذي يحدّد وجودي؟